

وقفه



عبدالله الشهاب

وجهاً لوجه بين القوة والضعف

للجهود الإغاثية خاصة في المناطق المنكوبة جراء الكوارث الطبيعية من زلازل وبراكين طبيعية مختلفة. في هذه الأماكن يصبح الإنسان وجها لوجه بصورا متناقضة من كتاب الحياة المفتوح، بين القوة والضعف، الموت والحياة، الوجود والعدم، وكل ما عليه أن يطلق لمشاعره العنان، فغالبا ومع الصدمة ستتولد قناعات، وتتبدد أخرى. تتفق جميعا على أن ما حدث أثناء الزلزال الكارثي الذي ضرب تركيا وسورية كان شيئا مريعا، اهتز كل الضمير الإنساني، فسارع لتقديم كل ما يستطيع، وفي هذه البقاع المشتتة نصب العمل الخيري رايته، ونشر هباته وعطاءاته لتعاشير الأحداث على الأرض، متجاوزا العالم الافتراضي الذي تعودته الناس، فزاحم ميكرا، وبادر مليبا، أخذوا بأسباب البذل والعطاء ما وسعت الطاقة من أجل المبدأ، هذه القوة الرشيدة التي ملأت سيرتها الآفاق، تأخذ بيد المعسر، وتقضي حاجة المعوز، تكفل اليتيم والأرمل، تملأ البطون وتكسو العاري، تدأوي المرضى، وتصون الإنسان من مواطن الذل والمهانة.

إن التجربة الطارئة تحفر الكيانات الخيرية كي تعتمد مشاريع تنمية طويلة الأمد، وتلبس ثياب الاستدامة، والحق يقال، فإن العمل الخيري الكويتي المنكئ على اسم العمل وسعتهما الطبية في المحافل الدولية، كان لحدوره الذي نوعي هذه المفردات، وكرس وجوده ليلقي بظلاله على المشهد، ونحن هنا مع صحة التواجد الذي خلق هذه المكاسب، ورسم بيانها في الأرض، وأنتج الاعتماد الإعلامي ونجاحه في القيام بتعبئة الضمير العالمي والتأثير فيه. لقد كان الحضور المنظم المدروس - في الواقع - السبب الرئيسي في إحداث الفارق، الذي لم يتكشف فقط في أثره المادي الملموس، بقدر التزامه بقيم الإنسانية، وفي وضع المعايير الأخلاقية التي تحثت حواجز العنصرية والتشرد، لتستوعب ألام الإنسان أيا كان مشربه. ممكن الاستعداد والجهوزية، تبرزه الحقول الخيرية التي كانت في وفرتها، جذوة رحبة تضئ السبيل للفقراء، منبثقة من نفوس نقية شربت الخير وتوغتته، هي القوود الذي أدار ماكينة المشاريع، وسمح لها قبل ذلك، بتعبئة شاملة كي تكمل الطريق.

إن إنسانية المساعدات الكويتية، محررة من قيود الهوى وضعف النظر، ما هيأ لها القبول الذي ترعرع في قلوب الناس، الذين عاينوا كيف أن الكويت لم تتخلف يوماً عن قافلة الحياة، زاهرة عطائها بكل معنى من معانها.